مختارات من مقصورة ابن دُريد

القصيدة المشهورة بمقصورة ابن دُرَيد هي أشهر قصيدة مقصورة، ومعنى مقصورة أن آخر كل بيت فيها حرف الألف غير الممدودة، وعدد أبيات مقصورة ابن دُريد ٢٥٤ بيتا، وناظمها هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي العُماني القحطاني، البصري ثم البغدادي، من كبار أئمة اللغة والأدب، كان يقال: ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٣٢١ هجرية وعمره ٩٨ سنة.

وهذه ٤٥ بيتا مختارة منها، هي أحسن ما في المقصورة:

إنَّ الجديدينِ[١] إذا ما اسْتوليا ... على جديدٍ أدنياهُ للبِلى
نُهالُ للأمرِ الذي يروعُنا ... ونرتعي في غفلةٍ إذا انقضَى
والحمدُ خيرُ ما اتَّخذتَ جُنَّةً[٢] ... وأنفسُ الأذخارِ[٣] من بعدِ التُّقى
منْ لم يعظْهُ الدَّهرُ لم ينفعهُ ما ... راحَ بهِ الواعظُ يوماً أو غدَا
منْ لم تُفِدْهُ عبراً أيَّامُهُ ... كانَ العمى أولى بهِ من الهُدى
مَنْ قاسَ ما لم يرهُ بما رأى ... أراهُ ما يدنو إليه ما نأى[٤]
مَنْ عطَّفَ النَّفسَ على مكروهِها ... كانَ الغنى قرينهُ حيثُ انتوى[٥]
عوِّلْ[٦] على الصَّبر الجميل إنَّه ... أمنعُ ما لاذ به أولو الحِجا[٧]
وعطّفِ النَّفسَ على سُبْلِ الأُسى[٨] ... إذا استفزَّ[٩] القلبَ تبريحُ الجَوى[١٠]

---

(١) يعني الليل والنهار.
(٢) سُترة.
(٣) ما ادخرته.
(٤) بعُد.
(٥) قصد وتوجه.
(٦) اعتمد.
(٧) أصحاب العقول.
(٨) الأُسا جمع أسوة، والمراد التأسي.
(٩) استخف.
(١٠) الحزن.

لا تعجبنْ من هالكٍ كيف هوى[١] ... بل فاعجبن من سالمٍ كيف نجا

والنَّاسُ ألفٌ منهمُ كواحدٍ ... وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عنَا

وللفتى منْ مالهِ ما قدَّمتْ ... يداهُ قبلَ موتهِ لا ما اقتنى

وإنَّما المرءُ حديثٌ بعدَه ... فكنْ حديثاً حسناً لمنْ وعى

من لكَ بالمهذَّبِ النَّدبِ[٢] الذي ... لا يجدُ العيبَ إليه مختطى[٣]

إذا بلوتَ السَّيفَ محموداً فلا ... تذمُمْهُ يوماً أنْ تَراهُ قد نبَا[٤]

إذا تصفَّحتَ أمورَ النَّاسِ لم ... تلفِ امرءاً حازَ الكمالَ فاكتفى

إلاَّ بقايا من أُناسٍ بهُمُ ... إلى سبيلِ المكرماتِ يُقتدى

إن ابنَ ميكالَ[٥] الأميرَ انتاشَني[٦] ... منْ بعدِ ما قد كنتُ كالشَّيءِ اللَّقَى[٧]

عجبتُ من مستيقنٍ أنَّ الرَّدى[٨] ... إذا أتاهُ لا يُداوى بالرُّقى

وهوَ من الغفلةِ في أُهْوِيَّةٍ[٩] ... كخابطٍ بينَ ظلامٍ وعشَا[١٠]

إذا ذوى[١١] الغُصنُ الرَّطيبُ فاعلمنْ ... أن قُصاراهُ نفادٌ وتوى[١٢]

إنَّ الشَّقاءَ بالشَّقيِّ مُولَعٌ[١٣] ... لا يَملِكُ الرَّدَّ لهُ إذا أتى

واللَّومُ للحرِّ مُقيمٌ رادعٌ ... والعبدُ لا يردعهُ إلاَّ العصَا

---

(١) يعني هلك سواء باتباع الباطل أو بالموت، فالبيت يحتمل المعنيين، والأصل في أحوال الناس الخسارة باتباع الأهواء، وكل إنسان إلى الموت.

(٢) السيد.

(٣) طريقا.

(٤) لم يقطع.

(٥) محمد بن عبد الله بن ميكال النيسابوري رئيس خراسان.

(٦) تناولني وتداركني.

(٧) الشيء الحقير الذي يُلقى في الأرض.

(٨) الموت الذي لا ينفع معه علاج ولا رُقى.

(٩) الحفرة في الأرض يضيق أعلاها ويتسع أسفلها.

(١٠) الظلام، ويطلق على ضعف البصر.

(١١) يبس.

(١٢) هلاك.

(١٣) يعني الشقاء ملازم للشقي المنهمك في الباطل.

وآفةُ العقلِ الهوى فمنْ علا ... على هواهُ عقلُهُ فقدْ نجَا

والشَّيخُ إنْ قوَّمتهُ من زيغهِ ... لم يُقِمِ التثقيفُ[١] منهُ ما التوى

كذلكَ الغُصنُ يسيرٌ عطفُهُ ... لَدنًا[٢] شديدٌ غمزُهُ[٣] إذا عسَا[٤]

منْ ظلمَ النَّاسَ تحامَوا ظلمَهُ ... وعزَّ عنهمْ جانباهُ واحتمى

وهمْ لمنْ لانَ لهمْ جانِبُهُ ... أظلمُ من حيَّاتِ أنباثِ السَّفا[٥]

عبيدُ ذي المالِ وإنْ لم يطمعَوا ... من غمرهِ[٦] في جُرعةٍ تَشفي الصَّدى[٧]

وهمْ لمنْ أملَقَ[٨] أعداءٌ وإنْ ... شاركهُمْ فيما أفادَ وحوى

إنَّ الأُلى فارقتُ من غيرِ قِلى[٩] ... ما زاغَ قلبي عنهُمُ ولا هفَا[١٠]

إذا امرؤٌ خيفَ لإفراطِ الأذى ... لم يُخشَ منِّي نزَقٌ[١١] ولا أذى

إنّي حلبتُ[١٢] الدّهر شطريه[١٣] فقد ... أَمرَّ لي حيناً وأحياناً حلا

ما أنعمَ العِيشةَ لو أنَّ الفتى ... يقبلُ منه موتُه أَسنى الرُّشَا[١٤]

أو لوْ تحلَّى بالشَّبابِ عُمْرَهُ ... لم يستلِبْهُ الشَّيبُ هاتيكَ الحُلى[١٥]

---

(١) تثقيف الشيء إصلاحه وإقامة المعوج منه، وتثقيف الإنسان تعليمه وتأديبه.

(٢) ليّن.

(٣) تقويمه.

(٤) غلظ وقوي.

(٥) اسم موضع، ويضرب المثل بالحية في الظلم، فيقال: أظلم من حية؛ لأنها لا تحتفر جُحرا، ولكنها تأتي إلى جُحر غيرها من الحيوانات وتستولي عليه.

(٦) أي من مائه الكثير.

(٧) الظمأ.

(٨) افتقر.

(٩) زل.

(١٠) هلاك.

(١١) طيش.

(١٢) جربت.

(١٣) حلوه ومره.

(١٤) يعني أحسن الرُّشا، جمع رشوة.

(١٥) يعني محاسنه من نضارة الوجه والقوة.

أَراجعٌ لِيْ الدَّهرُ حولاً كاملاً ... إلى الذي عوَّدَ أم لا يُرتجى
هيهاتَ مهما يُستَعرْ مُسْتَرجَعٌ ... وفي خطوبِ الدَّهرِ للنَّاسِ أُسى[١]
وسائلٍ بمُزْعِجي[٢] عن وطنٍ ... ما ضاقَ بي جَنابُهُ[٣] ولا نبَا[٤]
قلتُ القضاءُ مالكٌ أمرَ الفتى ... من حيثُ لا يدري ومنْ حيثُ درى
لا تسألنِّي واسألِ المقدارَ هلْ ... يعصمُ منهُ وزَرٌ أو مُدَّرى[٥]
لا بدَّ أنْ يلقى امرؤٌ ما خطَّهُ ... ذو العرشِ ممَّا هو لاقٍ ووحى[٦]
من كلِّ ما نالَ الفتى قدْ نِلتهُ ... والمرءُ يبقَى بعدهُ حُسْنُ الثَّنا
فإنْ أَمُتْ فقد تَناهَتْ لَذَّتي ... وكلُّ شيءٍ بلغَ الحدَّ انتهى
حاشَا لِما أَسْأَرَهُ[٧] فِيَّ الحِجا ... والحِلمُ أنْ أَتبعَ رُوَّادَ الخَنَا[٨]
أو أنْ أُرى لِنَكبةٍ مُختضِعاً[٩] ... أو لابتهاجٍ فَرِحاً ومُزْدهى[١٠]

اختارها وعلق عليها/ محمد بن علي بن جميل المطري
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
٥ شهر رجب ١٤٤٤

---

(١) أسوة والمراد التصبر.
(٢) أي بشيء مفزعٍ لي.
(٣) ناحيته.
(٤) تجافى عنه ولم يوافقه.
(٥) ملجأ أو مكان ادراء.
(٦) كتب، فكل امرئ سيلقى ما قدره الله عليه مما هو مكتوب في اللوح المحفوظ.
(٧) أبقاه.
(٨) أي أتنزه عن اتباع المزينين للفجور بسبب ما أبقاه العقل والحلم فيَّ من الامتناع من الوقوع في الفواحش.
(٩) ذليلا.
(١٠) زاهيا خفيف الحلم.